حَمَلَة العرشِ المَجيد

المَلَأ الأعلى - النَّديُّ الأعلى

الرَّفيق الأعلى

الإمام الشيخ

عبد الله سراج الدين

رحمه الله تعالى ورضي عنه

هذا البحث مقتبس من كتاب
(الإيمان بالملائكة عليهم السلام)
من الصفحة ٩٧ حتى الصفحة ١١٧

للشيخ الإمام
عبد الله سراج الدين الحسيني
بناء على توجيهات ولده
المهندس الشيخ
محمد محيي الدين سراج الدين
رحمهما الله تعالى ورضي عنهما

ويمكنك تحميل هذه الأبحاث القيّمة
وتحميل جميع كتب الشيخ الإمام
من موقعه الرسمي والوحيد
WWW.SRAJALDEN.COM
قسم مؤلفات الإمام
- المؤلفات المكتوبة وقبسات من المؤلفات

مدير الموقع :
الشيخ عبد الله محمد محيي الدين سراج الدين

حملة العرش المجيد

قال الله تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به .. ﴾ الآية .

فأخبر سبحانه أن للعرش حملة يحملونه تعزّزاً وتشرفاً ، وفي ذلك مظهر لسلطان الملك ، ومقام هيبة الربوبية .

كما بيّن سبحانه عدّة حملة العرش فقال : ﴿ والملكُ على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ فحملةُ العرش يوم القيامة هم ثمانية بنصّ الآية، ولكن اختُلف في عددهم الآن. فقال بعضهم: هم الآن أربعة واستدلوا بما رواه ابن جرير بإسناده عن ابن زيد مرفوعاً : « إن العرش يحمله اليوم أربعة ، ويوم القيامة ثمانية ».

وقال بعضهم : هم الآن ثمانية أيضاً ، واستدلوا بما رواه ابن أبي حاتم باسناده عن ابن عمر قال : حملة العرش ثمانية ، مابين موق أحدهم إلى مؤخر عينه مسيرة مائة عام .

واختلف في المراد بالثمانية ؟ فقائلون بأنهم ثمانية من الملائكة ، وقائلون بأنهم ثمانية صفوف من الملائكة . فقد روى ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية ﴾ قال : ثمانية صفوف من الملائكة ، لايعلم عدتهم إلا الله تعالى .

روي أن أربعة منهم يقولون : سبحانك اللهم وبحمدك ، على حلمك بعد علمك ، وتُجيبهم الأربعة الثانية : سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك . والله تعالى أعلم .

عظمة حملة العرش : روى أبو داود عن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أُحدّث عن ملكٍ من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه - أي كتفه - مسيرة سبعمائة عام » . وجاء في روايه الطبراني : « أن ما بين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمائة سنة ، يقول : سبحانك حيث كنت » . وروى أبو يعلى عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « أُذِن لي أن أحدث عن ملكٍ قد مرقتْ رجلاه في الأرض السابعة ، والعرش على منكبيه ، وهو يقول : سبحانك أين كنت وأين تكون[1] » .

هيبة حملة العرش ومن يلونه من سطوات الأوامر الإلهية :

قال الله تعالى : ﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، حتى إذا فُزّع عن قلوبهم[2] قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحقّ ، وهو

(١) والمعنى : سبحانك في قِدمك الذي لا أول له ، وسبحانك في بقائك الذي لا آخر له ، قال في مجمع الزوائد : رجاله رجال الصحيح اهـ .

(٢) التفزيع : إزالة الفزع ، فصيغة التفعيل هنا للسلب ، والمعنى : حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الملائكة المتسبب عن سطوات الأوامر ، الصادرة عن مقام العلي الكبير ، ذي العظمة والكبرياء .

العليُّ الكبير ﴾ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه - وفي رواية عبد الرزاق : من الأنصار - فرمي بنجم فاستنار - أي أضاء الالتهاب - فقال ﷺ : « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟ » قالوا : كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . فقال ﷺ : « فإنها لا يرمى بها لموت أحدٍ ولا لحياته ، ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش ، ثم سبّح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش ، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش : ماذا قال ربكم ؟ فيخبرونهم ، ويخبر أهل كلِّ سماءٍ سماءً حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ، وتخطَف الجنُّ السمعَ فيُرمَون - أي ترميهم الملائكة بالشهب - فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌّ ، ولكنهم يقْرِفون فيه ويزيدون »(١).

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال : « إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء ضَربت الملائكة بأجنحتها

(١) يعني أن الجن المسترقين للسمع يسمعون تلك الكلمة من ملائكة السماء الدنيا فيزيدون فوقها مائة كذبة ويصدقون بتلك الكلمة التي سمعوها ويكذبون بما وراءها . وهذا الحديث رواه مسلم واللفظ له والامام أحمد والترمذي والنسائي .

خُضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذي قال : الحقَّ وهو العليُّ الكبير ، فيسمعها مسترقُ السمع ، ومسترق السمع هكذا : بعضه فوق بعض فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا ، كذا كذا ، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سُمعت من السماء » .

وظائف حملة العرش ومن حوله :

قال الله تعالى : ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا : ربنا وسعت كل شيء رحمةً وعلماً ، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك ، وقِهِمْ عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جناتِ عدنٍ التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم . وقِهِمُ السيئاتِ ، ومن تَقِ السيئاتِ يومئذٍ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

يخبر الله سبحانه عن حملة عرشه ومن حوله أنهم ملازمون لتسبيحه وتحميده سبحانه ، ودائبون على الإيمان به ، والاستغفار للمؤمنين . أما

التسبيح فهو تنزيه الله تعالى عمالا يليق ، وأما التحميد فهو إثبات المحامد له سبحانه لكماله ولنواله ، وذلك أن الله تعالى يستحق الحمد على كمالاته الذاتية وصفاته العلية ، وعلى إحسانه وإنعامه وبرّه وإفضاله على سائر مخلوقاته .

وقوله تعالى ﴿ ويؤمنون به ﴾ - أي يؤمنون به إيماناً عملياً - وهو قيامهم بأنواع العبادات التي يعبدون الله تعالى بها ، من سجدات وصلوات ونحو ذلك من التعبدات العملية التي يأمرهم الله تعالى بها .

وذلك لأن الإيمانَ قد يطلق على الإيمان العمليّ المبني على الإيمان الاعتقادي كالصلاة ونحوها ، قال تعالى : ﴿ ما كنتَ تدري ماالكتابُ ولا الإيمان ﴾ الآية ، قال بعض السلف : المراد بالإيمان هنا الأعمال التعبدية كما قال تعالى : ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ أي أعمالكم التعبدية المبنية على الإيمان الاعتقادي التصديقي ، وقد نزلت هذه الآية في الصلاة ، كما صحح الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما وُجِّه رسول الله ﷺ إلى الكعبة قالوا : يارسول الله كيف بإخواننا الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس ؟ - أي ماحكم صلواتهم الماضية قبل التحول إلى الكعبة المشرفة - فأنزل الله تعالى ﴿ وما كان الله

ليضيع إيمانكم ﴾ الآية . أي صلاتكم ونحوها من بقية الأعمال الإيمانية[1].

وعلى هذا فقد وصف سبحانه حملة العرش ومن حوله بأنهم دائبون على التسبيحات والتحميدات القولية ، دائمون على العبادات العملية ، كما وصفهم سبحانه بقوله ﴿ ويستغفرون للذين آمنوا ﴾ لمناسبة الإيمان الجامعة بينهم . فإنها جعلت بينهم ولاءً ومحبةً وشفقةً ونصيحةً . فهم يقولون ﴿ ربَّنا وسعتَ كل شيءٍ رحمةً وعلماً فاغفر للذين تابوا ﴾ والمعنى أنهم سألوا الله تعالى متوسِّلين إليه بسعة رحمته كل شيء وهي الرحمة المعنية باسم « الرحمن » الذي عمَّت رحمته كل شيء : العرشَ والفرش قال الله تعالى ﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾. ومتوسِّلين إليه بسعة علمه وإحاطته بكل شيء أن يغفر سبحانه للذين تابوا ـ أي رجعوا إلى الله عما لا يرضاه ـ .

﴿ واتبعوا سبيلك ﴾ أي صراط شرعك الذي أقمته لهم وأمرتهم أن يتبعوه ويمشوا على منهاجه دون أن يعدلوا عن سَنَن استقامته إلى المنحرفات والمعوجات . قال تعالى : ﴿ وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه

(١) وذلك لأن خصوص السبب لا يمنع عموم اللفظ ، ولكن سبب النزول هو قطعي الدخول في الآية ، فجميع الأعمال الشرعية العقيدية داخلة في قوله تعالى ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ كما قال تعالى ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم ﴾ الآية .

ولا تتبعوا السُّبُل فتفرَّقَ بكم عن سبيله ، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون ﴾ .

﴿ وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جناتِ عدن التي وعدتهم ﴾ وفي هذا تمام الفضل والنعمة عليهم ، وذلك بأن يقيهم الله تعالى عذاب الجحيم ويتفضل عليهم فيدخلهم جنة النعيم ، إذ لو وقاهم العذاب وحده ولم يدخلهم الجنة لبقوا على السور بين الجنة والنار . فسبحان الكريم الغفار .

﴿ ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريّاتهم ، إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ وفي هذا الدعاء قرّة أعين المؤمنين التائبين المتبعين سبيل ربهم بآبائهم وأزواجهم وذرياتهم ، فيدخل من صلح منهم الجنة إلحاقاً بهم ، ليزداد نعيمهم ويتضاعف سرورهم من جميع الوجوه والاعتبارات . قال تعالى ﴿ والذين آمنوا ﴾ أي إيماناً عظيماً ﴿ واتبعتهم ذريتهم بإيمانٍ ﴾ أي دون إيمان آبائهم ﴿ ألحقنا بهم ذريتهم ﴾[1] الآية .

﴿ وقهم السيئات ، ومن تَقِ السيئاتِ يومئذٍ فقد رحمته ، وذلك هو الفوز العظيم ﴾ وهذا دعاء لهم أن يحفظهم الله تعالى من السيئات

---

(١) وهذا دليل على أن النسب الصالح ينفع ، فبه يلحق المتابع المقصّر في عمله بأصوله المجدّين في أعمالهم ، وأما المبطىء في عمله عن السير والمتابعة فقد قال ﷺ : « ومن بطّأ به عمله لم يسرع به نسبه » . وفي قوله تعالى ﴿ وكان أبوهما صالحاً ﴾ دليل صريح على نفع النسب الصالح ، فانه سبحانه أمر الخضر عليه السلام أن يقيم الجدار - أي يرفعه مستقيماً بعد ميله للهبوط - حفظاً لكنز اليتيمين تحته ، إكراماً لأبيهما الصالح .

في الدنيا والآخرة ، فلا يسوء لهم حال ولايساء لهم وجه ، ومن وقاه الله تعالى السيئات يوم القيامة فقد رحمه سبحانه برحمته الخاصة المعنيَّة في قوله تعالى ﴿ وكان بالمؤمنين رحيماً ﴾ وقوله ﴿ يختصُّ برحمته من يشاء ﴾ ﴿ وذلك هو الفوز العظيم ﴾ اللهم اجعلنا منهم .

فما أكرم المؤمنين على ربهم ! إنهم لتستغفر لهم حملة العرش ومن حوله ويدعون لهم بكل خير ، ويسألون الله تعالى لهم كل سعادة وبرّ ، ولمن يلوذ بهم من الآباء والأزواج والذرية . وما كان ذلك إلا عن أمر الله تعالى لهم بذلك ، لأن الملائكة لايسبقونه تعالى بالقول وهم بأمره يعملون .

ومن كرامة المؤمنين على ربهم أن رسول الله نوحاً على نبينا وعليه الصلاة والسلام قد استغفر لهم قال الله تعالى : « رب اغفر ولوالديَّ ولمن دخل بيتي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات ولاتزد الظالمين إلا تباراً » .

كما استغفر لهم خليل الله تعالى سيدنا إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال تعالى : « ربنا اغفر لي ولوالديَّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب »

وقد أمر الله تعالى حبيبه الأكرم ورسوله المعظم سيدنا محمداً ﷺ أن يستغفر للمؤمنين والمؤمنات قال تعالى : « فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات » الآية ولايمكن أن يتخلَّف ﷺ عن أمر الله تعالى فهذه بشائر إلهية لعباد الله المؤمنين ؛ اللهم اجعلنا منهم . آمين .

اعلام رب العالمين حملة العرش بحبه ورضاه عمن ارتضاه، وغضبه على من أغضبه، ثم تنزل ذلك في العوالم السماوية والارضية

قال الله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وُدّاً [1] ﴾ .

روى الإمام أحمد عن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « إن العبد ليلتمس مرضاة الله عزّ وجلّ فلا يزال كذلك ، فيقول الله عزّ وجلّ لجبريل : إن فلاناً عبدي يلتمس أن يرضيني ، ألا وإن رحمتي عليه ،فيقول جبريل: رحمة الله على فلان،ويقولها حملة العرش،ويقولها من حولهم حتى يقولها أهل السماوات السبع ،ثم يهبط إلى الأرض - زادابن مردويه في روايته عن ثوبان : فقال ﷺ : وهي الآية التي أنزل الله في كتابه ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً ﴾ - وإن العبد ليلتمس سخط الله فيقول الله : ياجبريل إن فلاناً يُسخطني ، ألا و إن غضبي عليه ، فيقول جبريل : غضبُ الله على فلان ، ويقوله حملة العرش ، ويقوله من دونهم حتى يقوله أهل السماوات السبع ، ثم يهبط - أي القول بذلك - إلى الأرض » .

---

(١) في هذه الآية إعلام الله تعالى عبادَه الذين آمنوا وعملوا الصالحات - وهي الأعمال الخالصة له المتابعة لشرعه - بأنه سيجعل لهم ودّاً ، أي حباً ثابتاً =

وروى مسلم - والبخاري والترمذي باختصار - عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال : إني أحبُّ فلاناً فأحبَّه ، قال فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء ، فيقول : إن الله يحبّ فلاناً فأحِبُّوه ، فيحبه أهل السماء ، قال ثم يوضع له القبول في الأرض ، وإذا أبغض عبداً دعا جبريل فيقول: إني أُبغض فلانا فأبغِضه ، قال فيبغضه جبريل ، ثم ينادي في أهل السماء : إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه ، قال فيبغضونه ثم ، توضع له البغضاء في الأرض » .

= ممكناً في قلوب أهل الملأ الأعلى والسماوات والأرض ، وذلك أنه لما أحبُّوه وأطاعوه أحبَّهم ، فلما أحبهم حبَّبهم إلى عباده المؤمنين . وقد روى الترمذي أن النبي ﷺ قال : « وما أقبل عبد على الله بقلبه إلا جعل الله قلوب المؤمنين تنقاد إليه بالودّ والرحمة ، وكان الله بكلّ خير إليه أسرع » ، وروى ابن أبي حاتم عن الحسن البصري رحمه الله ، أنه قال : قال رجل والله لأعبدن الله عبادةً أذكر بها ، فكان لا يُرى في حين صلاة إلا قائماً يصلي ، وكان أوّلَ داخلٍ إلى المسجد وآخر خارج منه ، فكان لا يعظم - أي عند الناس - فمكث بذلك سبعة أشهر ، فكان لا يمرُّ على قوم إلا قالوا : انظروا إلى هذا المرائي ، فأقبل على نفسه فقال : لا أراني أذكر إلا بشرّ ، لأجعلنّ عملي كلَّه لله عزَّ وجلَّ - أي مخلصاً - فلم يزد على أن قلب نيته ، ولم يزد على العمل الذي كان يعمله ، فكان يمرّ بعدُ بالقوم فيقولون : رحم الله فلاناً الآن وتلا الحسن البصري قوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودّاً ﴾ .

وروى أحمد عن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « إن المِقَة - أي المحبة - من الله تعالى ، والصِّيت من السماء ، فإذا أحبَّ الله عبداً قال لجبريل : إني أحب فلاناً ..» الحديث .

الملأ الأعلى - النَّدِيُّ الأعلى - الرفيق الأعلى

هم أشراف الملائكة ومقرَّبوهم . قال الله تعالى : ﴿ قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون . ما كان لي من علم في الملأ الأعلى إذ يختصمون . إن يُوحى إليَّ إلا أنما أنا نذير مبين ﴾ .

والمقصد في هذه الآيات إقامة الحجة القاطعة على حقيّة نبوّة سيدنا محمد ﷺ لأنه ﷺ جاء يخبر بأمور لم يكن قبل ذلك يعلمها حتى أنزل الله تعالى الوحي فأعلمه بذلك .

فقال سبحانه : ﴿ قل ﴾ يامحمد محتجاً على المنكرين لنبوتك ﴿ هو ﴾ أي القرآن أو النبوة وكلاهما متلازمان ومستلزمان لبعضهما ﴿ نبأ عظيم أنتم عنه معرضون ﴾ لتمادي غفلتكم وعدم تفكركم ، فإن العاقل لا يعرض عن مثل هذا النبأ العظيم والأمر القويم ، بل شأن العاقل أن يفكر فيه ويعتبر ، فإن ذلك يحمله على أن يؤمن بنبوةِ سيدنا محمد ﷺ والقرآن الذي جاءبه ، وأنه حقاً رسول الله ، وأن هذا القرآن حقاً هو

كلام الله تعالى ، ولا يحتمل غير ذلك ، لأنه ﴿ ما كان لي من علم في الملأ الأعلى إذ يختصمون ﴾ .

يعني أنه ﷺ قبل أن ينبأه الله تعالى وينزل عليه القرآن ما كان عنده علم باختصام الملأ الأعلى ، وما يجري بينهم من التقاول في قضية آدم ، وقضية اعتبارات أعمال بني آدم : من الكفارات والدرجات وتنزيلها في منازلها وإعطائها استحقاقاتها ، فهو ﷺ لم يكن عنده علم بجميع ذلك قبل أن ينبأ وينزل القرآن عليه ، لأنه كان أميّاً ﷺ ، فلم يقرأ الكتب الماضية ولم يسمعها من أهلها ، فمن أين جاء بهذه العلوم الوافرة الكثيرة التي من جملتها العلم باختصام الملأ الأعلى ؟ إذاً حقاً إنه رسول الله ﷺ أوحى الله تعالى إليه وعلّمه ذلك كله .

روى أحمد في مسنده عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى قرن الشمس ، فخرج ﷺ سريعاً فثوّب بالصلاة ، فصلّى وتجوّز - أي أسرع - في صلاته فلما سلم ﷺ قال : « كما أنتم على مصافكم » - أي لا تفارقوا مكانكم - ثم أقبل إلينا فقال : « إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة ، إني قمتُ من الليل فصلّيتُ ما قدّر لي فنعَستُ في صلاتي

حتى استيقظت فإذا أنا بربي عزّ وجلّ في أحسن صورةٍ[١] ، فقال : يامحمد أتدري فيمَ يختصم الملأ الأعلى ؟ قلت : لا أدري يارب فأعادها ثلاثاً . فرأيته وضع كفّه بين كتفيّ حتى وجدتُ بَرْدها بين ثديَيّ[٢]، فتجلّى لي كلّ شيءٍ ، وعرفتُ - وفي رواية الترمذي : فعلمتُ ما في السموات وما في الأرض - فقال : يامحمد فيم يختصم الملأ الأعلى ؟[٣] قلتُ : في الكفّارات والدرجات . قال : وما الكفّارات ؟ قلتُ : نقل الأقدام إلى الجماعات ، والجلوس في المساجد بعد الصلوات ، وإسباغ الوضوء عند الكريهات . قال : وما الدرجات ؟ . قلتُ : إطعام الطعام ، ولين الكلام ، والصلاة والناس نيام[٤] . ثم قال : سَلْ . قلتُ :

---

(١) قال ابن الأثير في جامع الأصول : الصورة ترد في كلام العرب على ظاهرها ، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته ، وعلى معنى صفته . يقال : صورة الفعل كذا وكذا ، لهيئته ، وصورة الأمر كذا وكذا ، لصفته ، فيكون المراد بما جاء في الحديث : إنه أتاه في أحسن صفةٍ ، ويجوز المعنى إلى النبي ﷺ أي أتاني ربي وأنا في أحسن صورة اه قال عبد الله : ومما يؤيّد أن الصورة قد يراد بها الصفة قوله ﷺ : « إنّ أوّل زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر » أي على صفته في النور والاضاءة ، وليس المراد هيئته المستديرة .

(٢) في هذا رموز وإيماءات إلى إفاضات وتجليات فيها انكشافات ومشاهدات وعلوم وإطلاعات ، فسبحان مَن تنزّه عن الكميات والكيفيات ! .

(٣) قال ابن الأثير : الملأ هم أشراف الناس وساداتهم وأرادهنا بالملأ الأعلى الملائكة المقربين اه .

(٤) فاختصام الملأ الأعلى هو التقاول الذي يجري بينهم في شأن الكفارات والدرجات=

اللهم إني أسالك فعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين وأن تغفرلي وترحمني ، وإذا أردت فتنةً في قومٍ فتوفَّني غير مفتون ، وأسالكَ حبَّك وحبَّ مَنْ يحبك ، وحبَّ عمل يقربني إلى حبّك . وقال ﷺ : إنها حقٌّ فادرسوها وتعلّموها[٢] » .

الندي الأعلى[٣]

ويقال للملأ الأعلى : الندي الأعلى ، وذلك باعتبار اجتماعهم في مجتمعٍ عالي الرتبة ، رفيع المكانة ، للتباحث في تدابير الأمور باذنه تعالى ، وللنظر في مُخَوَّلات أعمال المؤمنين واستحقاقاتها ، وغير ذلك مما يتعلق بالأكوان عامَّةً .

من الأعمال والأقوال على اختلاف أنواعها فيتباحثون في الدرجات واستحقاقاتها ومقتضياتها وأيّها أحب إلى الله تعالى ، وأيّها أعظم درجة وأكثر ثواباً ، وفي الكفارات ومقدارما تكفر من الذنوب وتقي من العقوبات ، فيجري بينهم التقاول في ذلك ثم يرفع الأمر إلى ربِّ العزّة أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين فيحكم حكمه في ذلك ولا معقّب لحكمه جلَّ وعلا .

(٢) ورواه الترمذي عن ابن عباس وقال حسن صحيح ، وروي النسائي بعضه والحاكم وقال على شرطها .

(٣) ذكر في النهاية أن الندي بالتشديد النادي وهو : مجتمع القوم ، وأهل المجلس فيقع على المجلس وأهله ، والمراد بالنديّ الأعلى : الملأ الأعلى من الملائكة .

قال تعالى : ﴿ فالمدبّرات أمراً ﴾ .

روى أبو داود عن أبي الأزهر الأنماري أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال : « بسم الله ، وضعتُ جنبي لله ، اللهمّ اغفرلي ذنبي ، واخسأ شيطاني[١] ، وفُكّ رِهاني[٢] ، واجعلني في النديّ الأعلى » ورواه الحاكم بزيادة « وثقّل ميزاني[٣] » .

الرفيق الأعلى

ويسمى الملأ الأعلى : الرفيق الأعلى لما روى الشيخان - واللفظ للبخاري في الدعاء - عن عائشة رضي الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح[٤] : « لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يُخيَّر » فلما نزل به ، ورأيتُه على فخذي غشي عليه ﷺ ثم أفاق فأشخص بصره إلى السقف ثم قال : « اللهم

---

(١) أي اجعله خاسئاً مطروداً ، يقال خسأت الكلب : طردته .

(٢) أي خلّصني من عقال ماقترفت من الأعمال التي لاترتضيها ، وذلك بالعفو عنها والرهان هو الرهن ، وهو مايجعل وثيقةً في الدَّين ، والمراد هنا النفس لأنها مرهونة بعملها قال تعالى ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وهذا تعليم لأتباعه ﷺ أن يدعوا عند النوم بهذا الدعاء الجامع لخير الدنيا والآخرة ولأنه سبب في عروج روح النائم إلى الندىّ الأعلى ، كلٌّ على حسب مقامه . وصلى الله على معلم الناس الخير وسلم .

(٣) أي بالأعمال الصالحة . (٤) أي قبل أن يمرض مرض الوفاة ﷺ .

الرفيق الأعلى » وفي رواية للبخاري عن عائشة سمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة يقول ﴿ مع الذين أنعم الله عليهم ﴾ الآية . وفي رواية أحمد : « اللهمَّ مع الرفيق الأعلى ، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء، إلى قوله : رفيقاً » وعند النسائي وابن حبان في صحيحه فقال : « أسأل الله الرفيق الأعلى الأسعدَ ، مع جبريل وميكائيل وإسرافيل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقلت إذاً لايختارنا ، وعرفتُ أنه الحديث الذي كان يحدثنا به وهو صحيح ، فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها ﷺ « اللهم الرفيق الأعلى »[1] .

ومن ذلك مارواه الترمذي وغيره عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يدعو فيقول : (اللهمَّ اغفرْ لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق الأعلى) .

---

(١) نقل السهيلي عن الواقدي أن أولَ كلمة تكلم بها ﷺ وهو مسترضع عند حليمة : « الله أكبر » وآخر كلمة تكلم بها كما في حديث عائشة « في الرفيق الأعلى » وروى الحاكم من حديث أنس أن آخر ما تكلم به ﷺ : « جلال ربي الرفيع » . اهـ نعم ، هذا مع ربه ، وأما آخر ما تكلم به من وصاياه لأمته: « الصلاةَ الصلاةَ وماملكت أيمانكم » .

الكروبيُّون

قال الله تعالى: ﴿ لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقرَّبون ﴾ .

الكَروبيّون بتخفيف الراء. قال في القاموس: هم سادة الملائكة، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام وهم المقرَّبون، من: كَرَب إذا قَرُب اهـ وقال في النهاية: وفي حديث أبي العالية « الكروبيُّون سادة الملائكة » وهم المقرَّبون اهـ.

وفي شرح المواهب نقلاً عن تذكرة الشيخ تاج الدين بن مكتوم أنه سئل ابن دحية: هل يعرف الكروبيُّون لغةً أم لا؟ فقال: الكروبيون بتخفيف الراء سادة الملائكة وهم المقرَّبون، من: كرب إذا قرب، أنشد أبو علي البغدادي: كروبية منهم ركوع وسجَّد، وقال العلامة الطيبي عن بعض العلماء: في هذه اللفظة: « الكروبيين » ثلاث مبالغات أحدها: أن كرب أبلغ من قرب، وضع موضع كاد. والثانية: أنه على وزن فعول وهو للمبالغة. والثالثة: زيادة الياء وهي تزاد للمبالغة كأحمريّ اهـ.

فهذا يدل على أن الكروبيين هم المقرَّبون من الملائكة عليهم السلام بالقرب الخاص المشار إليهم في قوله تعالى ﴿ لن يستنكف المسيح أن

يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ﴾ وإنما ذكر عيسى عليه السلام في سياق الملائكة المقربين ، لأنه من المقربين بالقرب الخاص أيضاً قال تعالى : ﴿ إذ قالت الملائكة يامريم إن الله يبشّرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾فما أشرف المقربين عند رب العالمين ! وإن أقرب المقربين هو الحبيب الأكرم والسيد الأفخم سيدنا محمد ﷺ صاحب مقام قرب الوسيلة وقلب الفضيلة.

المهيّمون

هم الأرواح المهيَّمة في جلال الله تعالى ، لايشعر أحد منهم بغيره ، بل ولا بنفسه ، لأنهم هائمون بربهم لايعلمون غيره وليس لهم وجهة لسواه أصلاً ، وذلك لأنه تجلّى عليهم فهيّمهم به عن كل شيء ، وهؤلاء يسمّون عند العارفين بـ « العالين » أي الذين لم يتناولهم الأمر بالسجود لآدم ، لأنهم لاعلم لهم بآدم عليه السلام ولا بغيره. قال تعالى إنكاراً على إبليس لما تخلف عن السجود لآدم : ﴿ قال مامنعك أن تسجد لما خلقتُ بيديَّ ! أستكبرتَ أم كنت من العالين ؟! ﴾ .

ولما كانوا مهيَّمين بربهم عن أنفسهم كليّاً ، كانت عبادتهم لربهم بالذات لا بالأمر ، كما ذكره المحققون ومنهم السيد الجرجاني في مواضع من التعريفات ، وذلك لأن الأمر التعبديَّ يتطلب مأموراً له شعور بنفسه ، وهؤلاء قد أُخذوا عن أنفسهم وهُيِّموا بربهم تبارك وتعالى.

مقام من عنده

قال الله تعالى : ﴿ وله مَن في السموات والأرض ، ومَن عنده لايستكبرون عن عبادته ولا يستحسِرون . يسبحون الليل والنهار لايفترون ﴾ وقال تعالى : ﴿ إن الذين عند ربك لايستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون ﴾ .

وهذا مقام شريف ومنصب منيف ، مدح الله تعالى أهله وأثنى عليهم ، وهذا المقام يشمل الملأ الأعلى وغيرهم .

وفي هذا المقام يذكر الله تعالى أهل القرآن والذاكرين الله تعالى كلاً حسبَ رتبته . قال تعالى : ﴿ فاذكروني أذكرْكم واشكروا لي ولاتكفرون ﴾ .

جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : « وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله تعالى ويتدارسونه بينهم إلاّ نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفّتهم الملائكة وذكرهم فيمن عنده . . » الحديث

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد كلاهما عن النبي ﷺ أنه قال : « إن لأهل ذكر الله تعالى أربعاً : تنزل عليهم السكينة ، وتغشاهم الرحمة ، وتحفُّ بهم الملائكة ، ويذكرهم الربُّ فيمن عنده » .

وقد بيَّن النبي ﷺ أنواع ذكر العبد لربه ، وما يقابل ذلك من الله تعالى لعبده ، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « يقول الله عزَّ وجلَّ : أنا عند ظنّ عبدي بي[1]، وأنا معه حين يذكرني[2] ـ وفي رواية : إذا ذكرني ـ فانْ ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرتهُ في ملأ خيرٍ منه ، وإن تقرَّب إليَّ شبراً تقرَّبتُ إليه ذراعاً وإن تقرَّب إليَّ ذراعاً تقربتُ منه باعاً ، وإن أتاني يمشي أتيتهُ هرولة »[3].

وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « قال تعالى يابن آدم إذا ذكرتني خالياً ذكرتك خالياً ، وإذا ذكرتني في ملأ

---

(١) أي فليظن العبد بربه خيراً فان الله تعالى عند ظنه .

(٢) فليراقب الذاكر معية الله له حين يذكر ربه ، وليعطها حكمها من الهيبة والخشية ، فانها معية خاصة حين الذكر ، غير المعية العامة لجميع أكوان العبد وأحواله المنبَّهة عليها بقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ الآية ، فانها لها أحكامها أيضاً من المحاسبة والمراقبة ونحوهما .

(٣) وهذه كنايات عن مضاعفات تقرب الربّ من عبده أضعاف تقرب العبد من ربه، فضلاً منه ونعمة وكرماً منه سبحانه ومنَّة ، وفي هذا تنشيط للمتقرّبين أن يزيدوا في التقرب ليزيدهم في القرب . والتقرب إلى الله تعالى إنما هو بالأعمال الصالحة والأقوال الطيبة ، كما في الحديث القدسي . « وما تقرب اليَّ عبدي بشيء أحبَّ اليَّ مما افترضته عليه ، ولايزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى أحبه » وفي معنى الحديث الثابت عنه ﷺ قال : « وما تقرب العباد الى الله تعالى بمثل كلامه » الحديث .

ذكرتك في ملأ خير من الذين تذكرني فيهم وأكثر »[١].

ذكر الله تعالى لعباده : ذلك هو مدحه تعالى لهم وثناؤه عليهم في مقام مَنْ عنده بين الملائكة الكرام والأرواح العظام ، وفي ذلك مباهاته تعالى للملائكة ، وتنويهه سبحانه بذكر أحبابه وذاكريه ، وتسجيل ذلك عنده وإعلان هذا الثناء فيمن عنده .

قال الله تعالى : ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحق ويعقوب أولي الأيدي والأبصار[٢]. إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار[٣] وإنهم عندنا لمن المصطفَيْن الأخيار . واذكر إسماعيل واليَسَع وذا الكفل ، وكلٌّ من الأخيار . هذا ذِكْرٌ ، وإن للمتقين لحسنَ مآب ﴾ .

ومعنى « هذا ذِكرٌ » أي هذا ذكرنا بالمدح والثناء والتفضيل والعطاء لأصفيائنا ومقربينا ، فيه شرفهم وإعلان فضلهم ، وإعلام برفعة قدرهم وعلوّ منزلتهم عند ربهم سبحانه .